

تفسير البحر المحيط

@ 470 @ إن كان الارتداد حقيقياً وهو الرجوع إلى المكان الذي خرج منه فمعناه : يصيرون إلى الذل بعد العز والخلص من أيدي القبط . وإن كان الارتداد مجازاً وهو ارتدادهم عن دينهم فمعناه : يخسرون خير الدنيا وثواب الآخرة . وحقيق بالخسران مَنْ خالف ما فرضه الله عليه من الجهاد وخالف أمره . .

{ قَالُوا يَا بَنِيَّ إِنَّا كُفِّرْنَا عَنْ مَا كُنَّا نَعْمَلُ فِي دِينِنَا وَمَا كُنَّا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ } قال النقباء الذين سيرهم موسى لكشف حال الجبابرة ، أو قال رؤسائهم الذين عادتهم أن يطلعوا على الأسرار وأن يشاوروا في الأمور . وهذا القول فيه بعد لتقاعسهم عن القتال أي : أن فيها من لا نطبق قتالهم . قيل : هم من بقايا عاد ، وقيل : من الروم من ولد عيص بن إسحاق . وقرأ ابن السميع : قالوا يا موسى فيها قوم جبارون . .

{ وَإِنَّا لَنَرُّوهُمْ كَمَا نَرُّوهُمْ } هذا تصريح بالامتناع التام من أن يقاتلوا الجبابرة ، ولذلك كان النفي بـلن . ومعنى حتى يخرجوا منها : بقتال غيرنا ، أو بسبب يخرجهم الله به فيخرجون . .

{ فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهُمْ فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهُمْ } وهذا توجيه منهم لأنفسهم بخروج الجبارين منها ، إذ علقوا دخولهم على شرط ممكن وقوعه . وقال أكثر المفسرين : لم يشكوا فيما وعدهم الله به ، ولكن كان نكوصهم عن القتال من خور الطبيعة والجبن الذي ركبه الله فيهم ، ولا يملك ذلك إلا من عصمه الله وقال تعالى : { فَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا } وقيل قالوا ذلك على سبيل الاستبعاد أن يقع خروج الجبارين منها كقوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط . .

{ قَالِ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ نَعْمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا ادَّخَلُوهَا عَلَيْهِمْ } الأشهر عند المفسرين أن الرجلين هما يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف وهو ابن أخت موسى ، وكالب بن يوقنا ختن موسى على أخته مريم بنت عمران ويقال فيه : كلاب ، ويقال : كالوب ، وهما اللذان وفيا من النقباء الذين بعثهم موسى في كشف أحوال الجبابرة فكتما ما اطلعا عليه من حال الجبابرة إلا عن موسى ، وأفشى ذلك بقية النقباء في أسباطهم فآل بهم ذلك إلى الخور والجبن بحيث امتنعوا عن القتال . وقيل : الرجلان كانا من الجبارين آمنّا بموسى واتبعاه ، وأنعم الله عليهما بالإيمان . فإن كان الرجلان هما يوشع وكالب فمعنى قوله : يخافون ، أي : يخافون الله ، ويكون إذ ذاك مع موسى أقوام يخافون الله

فلا يبالون بالعدو لصحة إيمانهم وربط جأشهم ، وهذان منهم . أو يخافون العدو ، ولكن أنعم
إِ عَلَيْهِمَا بِالْإِيمَانِ وَالثَّبَاتِ ، أو يخافهم بنو إسرائيل فيكون الضمير في يخافون عائداً على
بنو إسرائيل ، والضمير الرابط للصلة بالموصول محذوفاً تقديره : من الذين يخافونهم أي :
يخافهم بنو إسرائيل . ويدل على هذا التأويل قراءة ابن عباس ، وابن جبير ، ومجاهد ،
يخافون بضم الياء . وتحتل هذه القراءة أن يكون الرجلان يوشع وكالب . ومعنى يخافون أي :
يهابون ويوقرون ويسمع كلامهم لتقواهم وفضلهم ، ويحتمل أن يكون من أخاف أي يخيفون :
بأوامر إِ ونواهيهِ وزجرهِ ووَعِيدِهِ ، فيكون ذلك مدحاً لهم كقوله { أُوْلَئِكَ الَّذِينَ
أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لَلتَّقْوَى } والجملة من أنعم إِ عليهما صفة لقوله :
رجلان ، وصفاً أولاً بالجار والمجرور ، ثم ثانياً بالملة . وهذا على الترتيب الأكثر في
تقديم المجرور أو الطرف على الجملة إذا وصفت بهما ، وجوز أن تكون الجملة حالاً على
إضمار قد ، وأن تكون اعتراضاً ، فلا يكون لها موضع من الإعراب . وفي قراءة عبد إِ . أنعم
إِ عليهما ويلكم ادخلوا عليهم الباب . والباب : باب مدينة الجبارين ، والمعنى : اقدموا
على الجهاد وكافحوا حتى تدخلوا عليهم الباب ، وهذا يدل على أن موسى كان قد أنزل محلته
قريباً من المدينة . .

{ فَلَمَّا ذَا دَخَلْتُمْ مُوَاهُ فَلَإِنَّكُمْ غَالِيُونَ } قالوا ذلك ثقة بوعد إِ في قوله :
الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ . وقيل : رجاء لنصر إِ رسله ، وغلب ذلك على ظنهم .
وما غزى قوم في عقر ديارهم إلا ذلوا ، وإذا لم يكونوا حافظي باب مدينتهم حتى دخل وهو
المهم ، فلأن لا يحفظوا ما وراء الباب أولى . وعلى قول أن الرجلين كانا من الجبارين
فقليل : إنهما قالوا لهم :